

الفصل الثالث

أوروبا بين الحربين العالميتين

فى أعقاب الحرب العالمية الأولى انهار العديد من النظم السياسية فى الدول المهزومة فى حين استقر النظام البرلمانى والمذهب الحر فى الدول المنتصرة. وبالنسبة للدول المنهزمة فقد ظهرت فيها مذاهب سياسية جديدة ذات صبغة متشابهة وصفات مشتركة تتمثل فى احتقار الحرية والنظام الديمقراطى والأنظمة البرلمانية، بحجة أن هذه الأنظمة لم تجد حلولا لمشاكلها، كما أنها أصبحت لا تتلائم، والظروف الصعبة التى يعيشون فيها خاصة وأن ظروف الحرب أدت إلى انحطاطها وفقدانها لرونقها ونتيجة لذلك انفجرت الثورة فى برلين، ونجحت أقلية من الاشتراكيين فى إقامة جمهورية اشتراكية فى ألمانيا. وفى " هينريخيا " أدى البؤس ونقص التموين والبطالة إلى نمو الحركات المتطرفة مما اضطر ملكها إلى التنازل عن العرش بعد قيام الثورة ضده وأعلن عن قيام حكومة شيوعية فيها ولكنها لم تستمر طويلا لوقوف الحلفاء ضدها. وفى روسيا انتشرت القوضى بعد قيام الحرب الأهلية فيها وانتابها عدم الاستقرار السياسى، وحدثت العديد من المعارك بين انصار الحكومة البولشفية والروس البيض انتهت باستقرار الشيوعية فى روسيا.

هذا عن الدول المنهزمة وما حدث فيها من تطورات سياسية أما عن الدول المنتصرة كإنجلترا وفرنسا فقد سادها الهدوء السياسى، واستقر فيها النظام الديمقراطى المتمثل فى الحرية الفردية فى الفكر والعمل المستمد سلطته من البرلمانات التى تمثل افراد الشعب. وفيما يلى نعرض للأنظمة الدكتاتورية الجديدة التى ظهرت فى أعقاب الحرب وهى البلشفية والفاشية والنازية، والذى يضعها الكتاب الغربيون تحت صف واحد فيسمونها بالدول الشمولية أو الدكتاتورية Totalitarian State هذا مع ملاحظة أن الشيوعية من جهة والفاشية والنازية من جهة أخرى اعتبرت نفسها على طرف النقيض الآخر.

أولاً: روسيا والثورة البلشفية:

قبل التطرق إلى موضوع البلشفية ينبغي ان نتعرف اولاً على احوال روسيا قبيل ظهور البلشفية والعوامل التي ساعدت على انتشارها.

من المعروف ان روسيا بلاد مترامية الأطراف وتمتد حدودها في قارتى آسيا وأوروبا حيث تمتد من التخوم الألمانية إلى حدود الصين وإلى شواطئ المحيط المتجمد وإلى هضاب إيران وجبال القوقاز، وكان القيصر يعد الحاكم المطلق على كل الروس، وارايدته هي القانون. ونتيجة للبؤس والتخلف والتعاسة التي كان يحياها الشعب الروسى فقد حاول بعض القياصرة مثل القيصرة كاترين الكبرى تخريب بلادها، وكان للأفكار التحررية الصادرة عن الثورتين الأمريكية والفرنسية صداها في روسيا، فقد اعتملت في نفوس بعض النبلاء والطلبة الروس، أفكار العدالة والمساواة بين الناس، وحرية التعبير عن الرأى، والمشاركة فى حكم البلاد، وهالهم الفروق بين معيشة السادة الروس، ومعيشة عامة الشعب الذى كان من حق سادته جلده دون محاكمة، ولم يكن فى روسيا فى ذلك الوقت طبقة وسطى لتصل ما بين طرفى المجتمع.

ولقد قام الفلاحون بثورات خطيرة ولكنها قمععت، كما ثار جماعة من ضباط الجيش ذوى الميول التحررية فى عهد "تقولا الأول" فى عام ١٨٢٥ ولكن قمععت ثورتهم. ومع ذلك استمرت ثورات الفلاحين وفيما بين ١٨٤٥ و ١٨٦٠ هبت إنتفاضات عديدة فى أماكن متفرقة من روسيا قتل فيها الكثير من ملاك الأراضى، ولكى يسيطر القياصرة على الموقف أقاموا شبكة من الجواسيس ونظموا شرطتهم السرية وجعلوا من سيبيريا منفى لمثيرى الفتن وعندما تولى العرش القيصر اسكندر الثانى كان واسع الأفق، فاعتق العبيد الروس كما أصلح المحاكم، وأنشأ مجالس محلية لتدبير الشئون المحلية مما أغضب النبلاء، هذا إلى جانب أن دعاء الإصلاح كانوا يطالبون بما يفوق إصلاحات القيصر، وبمقتل اسكندر الثانى فى عام ١٨٨٤ استمرت الفوضى فى أنحاء روسيا وتكونت الأحزاب الثورية وازداد أفرادها، وانتشر الفوضيون الذين ينسوا من إصلاح الحكومة، وطلبوا بالقضاء على كل الحكومات وكل الحكام. كما انتشر الشيوعيون الذين يطالبون بتملك الأراضى والصناعات للشعب، والاشتراف عليها لضمان توزيعها على الجميع توزيعاً عادلاً. وفى الوقت الذى كانت روسيا تتأهب فيه للثورة. استمرت إضرابات العمال. وخلال تلك الفترة كانت أطماع روسيا التوسعية يتناهبها الفشل فلم يستطع الروس أن ينتزعوا شبه جزيرة القرم من الأتراك العثمانيين الذين حاربوهم

أحدى عشرة مرة كما كان من نتائج التوسع الروسى فى الشرق الأقصى قيام الحرب بين روسيا واليابان فى عام ١٩٠٥ وفيها منى الجيش والبحرية الروسية بخسائر فادحة على يد اليابانيين، مما زاد من تمرد الساخطين. فقامت فى موسكو ثورة مسلحة، وخرج ثلاثة ملايين من العمال مضربين عن العمل، وتمكنوا من تخليص السجناء السياسيين.

ولما استدعت الحكومة قوات الجيش للتدخل رفض رجال الجيش القضاء على هذه الحركة مما اضطر القيصر إلى منح البلاد دستورا وبرلمانا (مجلس الدوما) وعلى الرغم من ذلك قام الفلاحون البالغ عددهم ٧٥ مليوناً باضطرابات واسعة الانتشار فى عام ١٩٠٦ وظلت هذه الاضطرابات والرمى بالرصاص تنشط عاما بعد عام حتى سنة ١٩١٤^(١) بحيث أصبح يطلق على روسيا بلاد الاغتيالات والمؤامرات والشرطة السرية، وقيام الحرب العالمية الأولى ودخول القيصر الحرب ضد ألمانيا كانت البلاد على حافة الثورة، فقد كان هناك جماعات مختلفة من الروس يستعدون لأحداث انقلاب فى أسس الحكم، ولما كانت روسيا غير مستعدة استعدادا كاملا للحرب حيث ينقصها الأسلحة والمعدات فقد أكتسح الألمان الجيوش الروسية مما جعل الوطنيين الروس يستكرون عجز قيادتهم، وعدم كفاية القائمين بالأمر على تسيير دفة الحرب وينددون بالفساد الذى استشرى فى دواوين الحكومة كما انتشرت الشائعات عن متاجرة النبلاء فى الأسلحة الفاسدة.^(٢)، مما أدى إلى وأد الروح المعنوية بين الشعب والجيش على السواء، وقد توالى الهزائم على الجيش الروسى، ووقع الملايين من جنوده فى ميادين القتال بين قتلى وجرحى مما أدى إلى قيام الاضطرابات فى البلاد ووقوع المظاهرات العنيفة التى تطالب بمحاكمة القواد وكبار رجال الحكومة الذين سبوا لروسيا كل هذه الكوارث، وخاصة بعد ان اتضح للجميع أن الانتصار فى الحرب أمر بعيد المنال، ونتيجة لذلك اهتزت صورة القيصر "تيقولا الثانى" بشكل بارز، وبدأ معارضوه فى انتزاع التنازلات منه تنازلا وراء تنازل، وبدأت تراود أذهان الشعب ضرورة تنازله عن العرش وفى ذلك الوقت انتشرت روح التذمر والقلق واليأس فى نفوس الجيش الروسى، مما أدى إلى توفر عوامل الهزيمة وانعدام النظام، وعدم الثقة فى قيادة الجيش. لذلك يمكن القول أن الجيش الروسى كان عاملا من أهم العوامل لقيام الثورة فى روسيا عام ١٩١٧ كذلك كانت أحوال

(١) شينى: تاريخ العالم الغربى، ص ٢٥٨-٢٦٢.

(٢) عبد الحميد البطريق: التيارات السياسية المعاصرة، ص ٢٢٢.

البلاد الاقتصادية تدعو إلى التذمر، خاصة وأن المواد التموينية الأساسية ندرت إلى حد ينذر بالمجاعة. وفي ٨ مارس ١٩١٧ غادر العمال مصانعهم في بتروغراد وتظاهروا في الشوارع مطالبين بالخبز وانضم إليهم العديد من الفلاحين.

وقد انتهزت بعض العناصر المتطرفة ذلك الموقف فرفعت الأعلام الحمراء واللافتات الثورية التي تحرض على قلب نظام الحكم. وفي الحادى عشر من مارس حدثت حركة تدمير بين الجند فانضموا إلى حركة العمال وما لبث الموقف ان تطور بأن سيطر الجنود والعمال على العاصمة. واجتمع أعضاء مجلس الدوما وقرروا تعيين لجنة مؤقتة لتسلم السلطة، وفي الوقت نفسه كون العمال المصربون مجلس السوفيت الذى انتخب لجنة تنفيذية مؤقتة لتسلم السلطة. وهكذا أصبح فى المدينة اثنتين من اللجان الثورية كل منهما تدعى السلطة، وقد حدثت محاولات لإدماج اللجنتين فى حكومة واحدة مؤقتة حتى تم ذلك ودخل الوزارة "كرنسكى Kerensky" وهو اشتراكى معتدل. وفى اليوم الرابع عشر من مارس حاول القيصر الوصول إلى بتروغراد ولكن العمال المضربون أجبروا قطاره على التوقف حيث نزعوا قضبان السكك الحديدية. ولما أصدر القيصر أوامره بالاستيلاء على بتروغراد، والضرب على أيدي العصاة رفض قواد الجيش أوامره خشية اندلاع حرب أهلية وانضمت أغلبية قواتهم إلى الثورة مما اضطر القيصر إلى اصطناع المسالمة بأمره محاولة تأليف وزارة مسؤولة. ولكن الثوار صمموا على تنازله عن العرش فاضطر إلى اعلان تنازله لأخيه الدوق ميخائيل، وعلى الرغم من ذلك فان الملكية فى روسيا بدأت تفقد أنصارها بين صفوف الشعب خاصة وأن الدعوة إلى الجمهورية كانت مطلبا شعبيا، ونتيجة لذلك ذهب وفد من نواب الدوما إلى الدوق ميشيل يطالبونه بالتنازل عن الوصاية فاضطر إلى تلبية نداء الثورة وتسليم الحكم لحكومة مؤقتة، مصرحا بأن اختيار النظام السياسى فى روسيا أصبح منذ الآن من خصائص الجمعية التأسيسية. وهكذا تغير النظام السياسى فى روسيا بطريقة سلمية، وبدون إراقة دماء. وتظنرا لأن الحكومة المؤقتة التى تسلمت الحكم كانت تتكون من العناصر البرجوازية وتهدف إلى تأسيس دولة دستورية ديمقراطية برلمانية فان طبقات الروس الشعبية المتطرفة بدأت تنظم نفسها لكي تضرب ضربتها فى الوقت المناسب، فتألفت فى جميع أنحاء روسيا جمعيات سوفيتية (سوفيت معناها بالروسية مجلس). وفى تلك الفترة انقسم الروس إلى عدة كتل مختلفة، كتلة كانت أكثر الجماعات اعتدالا وقد أطلق عليها جماعة الاكثوبريين لأنهم كانوا يطالبون

القيصر بتحقيق ما جاء فى تصريح اكتوبر ١٩٠٥ باحترام الحريات الشخصية ومنح مجلس الدوما سلطة واسعة فى سن القوانين وكانوا يؤيدون قيام حكومة مسئولة أمام مجلس الدوما وأغلبية هؤلاء كانوا من الأشراف الأحرار، وهناك حزب الديمقراطيين الدستوريين ويطلق عليهم اسم " الكادت Cadets" وهذا الحزب يطالب بالمسئولية الوزارية واتساع سلطة مجلس الدوما وغالبية أعضائه من الجامعيين، وأرباب المهن والرأسماليين.

أما المتطرفون فهم الثوريون الاشتراكيون، ومعظمهم من الفلاحين، وكان هؤلاء يهدفون إلى نقل الملكية الخاصة إلى الملكية العامة وبذلك تصبح الأرض ملكا للشعب كله.

أما الحزب الديمقراطى الاشتراكى فقد انتشرت أفكاره بين عمال المصانع الذين كانوا يشعرون بالظلم الاجتماعى ويرغبون فى وضع أيديهم على المصانع وطرد الرأسماليين وتقليل ساعات العمل، وزيادة الأجور. وكان هدفهم الأكبر سقوط القيصريّة واقامة الجمهوريّة، وقد انقسم هؤلاء على أنفسهم فى عام ١٩٠٣ حتى أصبحوا مجموعتين فريقاً تزعمه لينين هو لايوافق على سياسة الاعتدال او الإصلاح التدريجى بل هدفهم الوصول بالطبقة الكادحة إلى أهدافها واستلام السلطة بالقوة وأما الفريق الآخر فكان أعضاؤه يرون ضرورة كبج جماع الثورة وتطبيق النظام الاشتراكى بالتدريج ولما أخذت الأصوات على هذين الرأيين انضمت الأغلبية إلى لينين. لذلك أصبحوا يعرفون باسم " البلشفيك" وهى كلمة روسية بمعنى الأغلبية أما الفريق الآخر فأصبحوا يعرفون باسم " المنشفيك" بمعنى الاقلية ولما كان البلاشفة يستهدفون تحقيق زعامة الطبقة العاملة، وتحقيق التعاون مع جماهير الفلاحين والسير بالثورة حتى الانتصار النهائى^(١)، فقد هاجم لينين الحكومة لعجزها عن معالجة شئون التموين وشئون الحرب. واستطاع أن يجمع حوله الاتباع والانتصار من المتطرفين. وأصدر بيانا أوضح فيه برنامج حزبه الذى يتخلص فى الاسراع بعقد صلح عام، ومصادرة الضياع الواسعة وأن تصبح المصانع للعمال أنفسهم. وأن يراقب الشعب الانتاج وتوزيعه. وبينما كان البلاشفة ينادون بمبادئهم كانت الحكومة المؤقتة تعتزم مواصلة الحرب، وعدم التخلّى عن الحلفاء معتقدة أن احراز اى نصر يقوى من مركز الحكومة المؤقتة.

(١) هيئة من اللجنة المركزية للحزب الشيوعى السوفيتى: تاريخ الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى، بيروت، دار الغارابى، ١٩٥٤، ص ١٢٧

وفى أواخر يونيو ١٩١٧ قام الجيش الروسى بالهجوم على الجبهة الألمانية النمساوية ولكنه تحطم أمام القوات الألمانية وتحطمت أعصاب جنوده، وشرعوا يفرون مذعورين. وبينما كان هذا يحدث فى ميدان القتال كانت أحوال روسيا تسيير نحو الانقلاب فى السادس عشر من يوليو بذل البلشفيك أول محاولة جديّة لهم لتنظيم الثورة الداخلية فى " بتروغراد" اشترك فى إشعالها عدد كبير من جنود العاصمة المتشبعين بالدعاية البلشفية. كما اشترك فيها مجموعة مسنحة من العمال وقامت المظاهرات تنادى بسقوط الحرب وسقوط الوزراء الرأسماليين كما انتشرت الأعلام الحمراء، ولكن الحكومة تمكنت من إخماد هذه الثورة مما جعل لينين يشعر حسرة تأييد الأقاليم لحزبه، وأهمية نشر الدعاية بين رجال الجيش أنفسهم.

وفى ذلك الوقت كانت الموقف الحربى لروسيا يسيير من سيئ إلى أسوأ. كما قامت فى القرى حركات ثورية للاستيلاء على الأراضى. وقامت فى المدن مظاهرات تطالب بالطعام ونيحة لذلك نشر البلاشفة ندائهم المعروف " السلام للجيش والأرض للفلاحين، والمصانع للعمل". وازداد أنصار البلشفيك حيث انضم إليهم الفلاحون، والعمال، والجنود. فأدرك "لنين" أن الوقت حان لحسم الموقف، فاجتمع باللجنة المركزية للحزب البلشفيكى سرا فى شهر أكتوبر حيث قرر القيام بثورة مسلحة ضد الحكومة المؤقتة والقبض على اعضائها، وتكوين حكومة حسيه مؤقتة وفى نوفمبر احتلت القوات البلشفية ابنية المرافق العامة فى بتروغراد فى أثناء الليل وفى الصباح صدر بلاغ بلشفيكى يعلن عن سقوط الحكومة المؤقتة والقبض على أعضائها، وتكوين حكومة جديدة مؤقتة أطلق عليها اسم المجلس السوفيتى لوكلاء الشعب، واسحب لينين رئيسا لهذا المجلس.^(١) وكان أول الأعمال التى قامت بها هذه الحكومة هى عقد معاهدة مع ألمانيا سنة ١٩١٨ بغرض التخلّى عن الحرب ضدها والتفرغ لبناء المجتمع الروسى، وتحويله إلى الاشتراكية، ونتيجة لذلك تمكن لنين من التفرغ لتنظيم البلشفية داخل روسيا وإقامة دكتاتورية الطبقة العاملة.

ونكن ذلك الأمر لم يكن سهلا حيث قامت معارضة مسلحة قوية من أنصار الليبرالية ومن أعداء البلشفيك للانقضاض على حكومة لينين، وساعدهم على ذلك الدعم العسكرى الذى قدمه الحلفاء الغربيون لهم، حيث ضايقتهم تسليم البلشفيك للألمان فاستمر الكفاح محتدما لمدة ثلاث سنوات، مما زاد الأمل فى نفوس العناصر المناهضة للبلشفيك " الروس البيض" وأقدموا

(١) البطريق، ص ٢٢٤-٢٢٦.

على تنظيم قواتهم بمساعدة الجيوش الأجنبية لإقامة حكومات بيضاء، وقد تأسست فعلا (حكومة روسيا الشمالية المؤقتة) كما قام غيرهم بتأسيس حكومات أخرى فى جنوب روسيا مناهضة للروس الحمر، ولما اشتد النضال بين الحمر والبيض أحس البلشفيك بخطورة وجود القيصر "تقولا الثالث" وأسرته أحياء حيث أن ذلك يشجع العناصر المعادية للثورة على اعادته فقاموا بإعدامه هو وأسرته رميا بالرصاص، ولما بدأت قوات الروس البيض الهجوم واقتربت من مدينة بتروغراد (ليننجراد فيما بعد) التحم معها الجيش الأحمر وردها على أعقابها كما تمكن البلشفيك من طرد الحكومات التى تألفت فى أوكرانيا وروسيا البيضاء وقبضوا على زمام السلطة فى الولايات وألقوا بها حكومات تابعة لهم، وأثبتوا قدرتهم فى الاعتماد على سواعدهم فى إقامة دولتهم^(١)، ونتيجة لذلك أصدروا دستورا فى ربيع ١٩١٨ تأسست بمقتضاه " جمهورية السوفيت الاتحادية الاشتراكية الروسية" وتقرر أن تكون موسكو العاصمة وأصبحت روسيا دولة اتحادية تستمد قوتها من دكتاتورية الطبقة العاملة.

مما سبق يتضح أن الثورة الروسية قامت نتيجة لعاملين هما:-

١- الظلم والفساد والأزمات الاقتصادية داخل روسيا.

٢- دخول روسيا الحرب دون أى استعداد لها.

وقد نجحت هذه الثورة فى إسقاط الحكومة القيصرية وإقامة النظام البولشفي الذى استمد فكره من كتابات ماركس التى تنادى بإقامة الشيوعية كنظام يقوم عليه المجتمع، والذى أعلن قيام اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية على أساسه.

وفى يناير ١٩٢٤ توفى لينين، وخلفه فى السلطة جوزيف ستالين الذى أعلن مشروع السنوات الخمس الأولى لتصنيع روسيا وجعل الأرض ملكا للدولة، كما أعلن عن خطته القائمة على تحقيق الاشتراكية فى دولة واحدة على خطة الثورة العالمية وفى عهد "ستالين" دخل الاتحاد السوفيتى الحرب العالمية الثانية.

والمعروف أن جوهر النظام الشيوعى لا يتفق مع الملكية الخاصة أو مع وجود الله بل يرى ضرورة هدم النظام الرأسمالى من أساسه ونشر المذهب الشيوعى فى جميع أنحاء العالم، كما ينكر الأديان ويدعوا إلى هدمها، وقد نجح الشيوعيون فى روسيا فى أن يكون

(١) جرائد: ص ٣٠٧.

حزبهم هو الحزب الأوحد، وفي أن يكون القوة المهيمنة لأمر الحكم في الاتحاد السوفيتي. وقد استطاع هذا الحزب الوقوف في مواجهة الرأسمالية الغربية، وتزعّم النضال ضدها. ومن المعروف أن النظام الشيوعي هو الوحيد الذي بقى بعد الحرب الثانية بين الأنظمة الأخرى حيث انهزات الفاشية والنازية، وظل هو متربعا على مصائر الشعب السوفيتي حتى ظهرت سياسة جورباتشوف الإصلاحية، فانهى دوره القيادي وانقرط عتده في الاتحاد السوفيتي (السابق) وشرق أوروبا.

ثانيا: الفاشية في إيطاليا:

كلمة فاشية مأخوذة من الكلمة اللاتينية Fasces وكانت تطلق على حزمة العصي التي كانت تحمل في الاحتفالات الرسمية أيام الرومان كرمز للسلطان والقوة. ويرجع أسباب قيام هذا النظام في إيطاليا إلى شعور الإيطاليين بالظلم الذي لحق بهم، وخيبة الأمل التي انتابهم نتيجة لخروج بلادهم من الحرب العالمية الأولى خالية الوفاض. مما نتج عنه اضطرابات في كافة الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية ومهد لوقوع الانقلاب الفاشستي عام ١٩٢٢، وكأنه جاء لإنقاذ الموقف. فعلى الرغم من أنها كانت تدخل في عداد الدول المنتصرة في الحرب، فإنها لم تحصل من مؤتمر الصلح بفرساي سوى على الفتات فقد انتشرت البطالة، وتفاقت الأزمة التموينية، وظهرت حركات الاضطرابات والعنف، وبدأت الأفكار الشيوعية في الانتشار. ونتيجة لتعدد الأحزاب المتناقضة في أهدافها خلال هذه الفترة، والأزمة الاقتصادية وتزايد عدد السكان، وعدم وجود مصادر للطاقة مثل الفحم والحديد، وانتشار البطالة، وضعف الحكومات عن كبح جماح الفوضى ظهر " بينيتو موسوليني" بمذهبه الفاشي الذي يقوم على انتقاد النظام الديمقراطي والحرية البرلمانية، ووجد آذانا صاغية من الإيطاليين له. ونظرا لأهمية الدور الذي قام به موسوليني في تغيير الأمور في إيطاليا نعرض له بشئ من التفصيل.

موسوليني:

ولد بينيتو موسوليني في ٢٩ يوليو ١٨٨٣ من أسرة بسيطة فكان والده حدادا، وأمه معلمة. وبعد أن انتهى موسوليني من تعليمه، عمل في حقل التدريس فترة ثم تركه، وسافر إلى

سويسرا حيث زاول أعمالا عديدة كان منها البناء، وكان كثيرا ما يطرد من أعماله نتيجة لعدم رضا رؤسائه عنه، ثما حكم عليه بالسجن أكثر من مرة، ومن أجل هذا غادر سويسرا إلى باريس، ولكن المقام لم يطب له هناك فطرد منها بتهمة التشرد وبعدها انخرط في سلك الجيش ثم تركه وعمل بالصحافة تحت لواء الحزب الاشتراكي الإيطالي حتى صار رئيس تحرير إحدى جرائده وكان في البداية من المعارضين لدخول إيطاليا الحرب العالمية الأولى ثم تطوع بعد ذلك للانخراط فيها وأصيب بجراح وبعد الحرب بدأ نجم موسوليني في الظهور حيث كون حزبه الفاشستي في عام ١٩١٩ والذي كانت من أهم مبادئه معارضة الأحزاب الرأسمالية والهجوم عليها، والوقوف في وجه الشيوعية، وتنظيم إيطاليا والدفاع عن مصالحها القومية والاستعمارية، وقد أعلن موسوليني أن هدفه الأساسي هو مصلحة إيطاليا وإعادة أمجادها وبعث قوتها ماديا ومعنويا خاصة وأنها الوريث الطبيعي للإمبراطورية الرومانية وأنه يجب التعاون، والتكاتف، من أجل انعاش مستقبل بلاده.

وقد أخذت مبادئ الحزب الفاشستي تنمو وتتطور في أنحاء إيطاليا، واستطاع ان يكسب الإيطاليين إلى جانبه، وخاصة طبقة العمال، كما عمل على تحويل أنصاره إلى جماعة عسكرية لتتسارير الطرق الدستورية مثل الأحزاب الأخرى للوصول إلى الحكم بل تعتمد على نضالها، فكان فرقاً من الشباب المدرب وجعلهم يحملون شارة خاصة. وعلى الرغم من أن النظام الفاشستي قد أخذ بعض نواحي الاشتراكية كالتأميم إلا أنه كان يبعث النزعة الدولية العالمية التي تميز الشيوعية لذلك شن اتباع موسوليني حرباً شعواء على الشيوعيين تحت اسم البوليس الإيطالي وبصره وتفاقت الاضطرابات وأصبحت شوارع إيطاليا مجالاً للمعارك بين الفاشيست والشيوعيين، ونتيجة لذلك طلب رئيس وزراء إيطاليا من الملك " عمانويل الثالث" اعلان الأحكام العرفية، ولما رفض الملك طلبه قدم استقالته في ٢٧ من أكتوبر ١٩٢٢ وانقادا للموقف دعا الملك موسوليني إلى تأليف الوزارة الجديدة تجنباً للحرب الأهلية فزحفت فرق القمصان السوداء على روما، وتقلد موسوليني زمام الأمور فقيده الصحف، والحق بخصومه الوانا عديدة من الإرهاب فاغتال بعضهم واعتقل البعض الآخر حتى تمكن من الانفراد بالزعامة، واستطاع ببراعته اذكاء حماس الجماهير الإيطالية واثارة حميتها وتوليد ثقتها في بناء إيطاليا القوية، مما جعل الأمة الإيطالية تعطي ثقها الكاملة له فجمع كل السلطات في يده وأصبح صاحب السلطة في كل إيطاليا، فهو الذي يعين الوزراء، ويعزلهم

ويقود الجيوش، ولم يعد للملك أى سلطة سوى توقيع المراسيم. وخلال ذلك قام موسوليني بإعادة التعليم الدينى إلى إيطاليا، كما اقام علاقات ودية مع البابوية، وروج لفكرة أن الدولة والأمة تتجسدان فى شئ واحد هو الحزب، وحتى تتمكن الدولة من التفوق على غيرها فإنه يجب على الفرد ان يذوب فى الدولة طوعا أو كرها، ومن هنا حظر قيام الاضطرابات وأخذ فى إلغاء الحريات الفردية وشد من مراقبة الدولة لحياة الخاصة، كحياة الاسرة والحياة الفكرية والدينية وإلى جانب ذلك فقد اصدر موسوليني عدة تشريعات هامة منها حق العامل فى الاحتفاظ بعمله، وحقهم فى المعاش والتعويض عند الاصابة.

و:ع أن النظام الفاشى فى إيطاليا نجح فى زيادة الكفاية الادارية، وزيادة الانتاج الزراعى، باستصلاح الاراضى فى بقاع كثيرة من إيطاليا، وكذلك النهوض بالصناعة والعمل على رفع المكانة القومية لدى الإيطاليين، فان معاناة الإيطاليين خلال حكم موسوليني كانت واضحة، ونظرا لضعف قدرات إيطاليا الاقتصادية رأى موسوليني ان تصبح لبلاده السيادة على البحر المتوسط، وتطلع إلى الاستيلاء على "رودس" و "ليبيا"، كما أخذ يضغط بقوة لمشاركة فرنسا وبريطانيا فى اقتسام الدول العربية. فدعا إلى مشاركة إيطاليا فى ادارة اقليم طنجة، وإلى تعديل الحدود بين ليبيا ومصر، وإلى تقوية مركز الإيطاليين فى تونس.

وكانت لمعارضة الدول الاستعمارية لاطماعه واصطدامه بمصالح انجلترا وفرنسا بصفة مستمرة أكبر الأثر فى تحويله تجاه ألمانيا النازية، ودخوله الحرب العالمية الثانية بجانبها.

ثالثا: النازية فى ألمانيا:

تتكون كلمة نازى من كلمتين المانيتين أولهما قومى والثانية اشتراكى، وقد سطر "أدولف هتلر" افكاره حول هذه النظرية فى كتابه "كفاحى" والتي تعد من أهم نظريات الحكم الدكتاتورى الذى برزت صورته قبيل الحرب العالمية الثانية، كما تعبر عن شهوة السلطان والسيطرة التى تغلبت على نفس هتلر، ورغبته فى أحداث ثورة عالمية تمكنه من تنظيم الحياة البشرية على سطح الارض، وفقا للقواعد والمبادئ التى حددها وهى حق الشعب الالمانى فى السيطرة على العالم، والتي كان من الممكن أن تؤدى إلى تمزيق أوصال الحياة الاجتماعية، وضياح معظم المعانى التى تسيع تلى الحياة معنى كريما.

ولما كانت الحرب العالمية الأولى قد انتهت بهزيمة المانيا وتوقيع معاهدة فرساي بشروطها القاسية والتي كان لها أكبر الاثر فى معاناة الشعب الالماني خارجيا وداخليا وأدت إلى حالة من عدم الاستقرار السياسى، وبرز بعض الحركات الانفصالية، فقد استغل هتلر سخط الأمة الالمانية ورغبتها فى الفكك من معاهدة فرساي التى أتقلت كاهل الشعب الالماني نتيجة للتعويضات التى أدت إلى دمار الاقتصاد الالماني وتكبير ارادته. وبدأ فى الدعوة إلى النازية بحجة أنها الطريق الوحيد لاسترداد حقوق الشعب الالماني المسلوبة.

ولأهمية الدور الذى قام به هتلر فى تغيير مصير المانيا والعالم نعرض له بشئ من

التفصيل:-

١- ولد أدولف هتلر فى ٢٠ من ابريل ١٨٨٩ فى احدى القرى على الحدود النمساوية الالمانية، حيث كان أبوه موظفا صغيرا بالجمارك.

٢- عاش هتلر طفولة بائسة إذ توفي والده وهو فى الرابعة عشرة من عمره، ولم يترك له سوى الفئات، لذلك لم تتح له فرصة التعليم العالى بل ترك دراسته بحثا عن الرزق، وانتقل إلى فيينا من أجل ايجاد فرصة للعمل وهناك عانى الكثير من المصاعب والمتاعب.

٣- كانت القراءة هى صديق هتلر الوفى إذا كان يصرف معظم وقته فى الاطلاع وبفضل المطالعة تبلورت اراءه، وإلى جانب ذلك كان هتلر من هواة الرسم. وقد اضطرته ظروفه المعيشية الصعبة إلى أن يقوم بالعمل فى زخرفة المنازل وبيع بعض الصور التى يقوم برسمها حتى يقات من ثمنها.

٤- التحق هتلر بالجيش، وتطور مركزه به خلال الحرب العالمية الأولى فوصل إلى درجة عريف، وقد أصيب فى احدى المعارك بجرح ونقل إلى احدى المستشفيات، للعلاج ولكنه لم يتم نسريحه بعد الحرب بل عمل مع فرق الأمن المكلفة بالرقابة السياسية على الأحزاب وقد اتاحت له هذه الوظيفة الفرصة للتعرف على التنظيمات الحزبية. وقد تأثر كثيرا لهزيمة المانيا فى الحرب، وحمال الخونة أسباب الهزيمة وسماهم " خونة نوفمبر".

٥- كان هتلر يستمع إلى نبوءات العرافين، وقد تنبأ له بعضهم بأنه سيصبح زعيم المانيا.

٦- التقى هتلر فى ميونخ عام ١٩١٩، بحزب العمال وهو الحزب الذى يعتنق آراءه نفسها واستطاع أن ينتزع رئاسته واعطى لانصاره اسما جديدا هو الحزب النازى.

٧- تفرغ هتلر للعمل السياسي وترك الجيش واستفاد من الازمات التي حلت بالمانيا فعندما احتلها الفرنسيون الروهر وانخفض سعر العملة الالمانية قام هتلر بأول محاولة انقلابية في ميونخ والتي كان على أثرها اعلان جمهورية فيمار وترشيح زعيم المحافظين لتولى المنصب ولكن الحكومة المركزية استطاعت القبض على القائمين بالانقلاب وحكم على هتلر بالسجن لمدة ٤ سنوات، وخلال ذلك تزايدت شعبيته، وزاد من عطف الرأى العام الالمانى عليه.

٨- ألف هتلر كتابه "كفاحى" وهو فى السجن وضمنه أهم آرائه السياسية والاقتصادية والاجتماعية كما ضمنه نظرياته الخاصة التى اتخذ منها فى المستقبل أسس عمله، ومنها ضرورة القضاء على اليهود والشيوخ الذين مكنوا الحلفاء من الانتصار على المانيا فى الحرب العالمية الأولى.

٩- أطلق سراح هتلر عام ١٩٢٤، أى بعد مضى عام من سجنه نتيجة لضغط الرأى العام، وتزايد عدد أنصاره.

١٠- تولى هتلر منصب المستشارية فى يناير ١٩٣٣ علما بأنه لم يهتم كثيرا بالمناصب الرسمية بل كان يستند على مركزه الشخصى فى الزعامة وكان اللقب المحبب إليه هو الفوهرر أو الزعيم.

١١- كان للنازية مبادئها الفلسفية حتى عدها بعض النازيين ديننا جديدا وقام هتلر بتغيير كل شئ فى المانيا فحطم الحرية السياسية وغير اقتصاديات انمانيا ومالياتها والغى نظام الولايات المنفصلة وجعل المانيا أمة موحدة وصمم على تحريرها من قيود معاهدة (فرساي) وقد رسخ فى ذهن هتلر ملاحظات استاذ التاريخ (دكتور ليوبولد وئش) ان النمسا جزء لا يتجزأ من المانيا وأن زوالها بوصفها دولة مستقلة امر ضرورى للأمة الألمانية.

١٢- لقد تمكن هتلر من السيطرة على المانيا مستغلا نقط الضعف فى جمهورية فيمار وعدم قدرتها فى السيطرة على الازمة الاقتصادية التى تعرضت لها المانيا إذ كان يعمل على إثارة الرأسماليين والاشتراكيين بالتبادل كل منهما ضد الآخر متظاهرا بالتحول فى اتجاه واحد ثم فى الاتجاه الآخر ولذلك تمكن من الوصول إلى هدفه بعدة خطوات غير مباشرة.

١٣- أخذ هتلر يجمال الضباط القدامى حتى أقسموا له يمين الولاء، ويمين الولاء الذى قام هتلر بتأليفه هو (أقسم بالله هذا اليمين المغلظ أنى سأطيع طاعة عمياء فوهرر المانيا والشعب أدولف هتلر القائد الأعنى للقوات المسلحة وأكون مستعدا كجندى شجاع أن أبذل حياتى فى اى وقت دفاعا عن هذا القسم) وقد ارتبط الجيش والشعب الألمانى بهذا القسم وأصبح مرتبطا قلبا وقالبا مع هتلر.

١٤- سارع هتلر فى حل الأحزاب الألمانية ومصادرة أموالها، كما عمل على القضاء على المعارضة داخل الحزب النازى.

١٥- لقد نجح هتلر فى بناء الآلة العسكرية الالمانية وهو صاحب فكرة تطور الأسلحة والأفكار الحديثة فى الحرب خفيفة الحركة وينسب إليه التمهيد لظهور فكرة الحرب الخاطفة التى نجحت فى بولندا وفرنسا كما رحب القادة العسكريون باحياء هتلر للقومية الالمانية واذكائه للروح العسكرية واشعاله للشعور الوطنى.

١٦- لعبت النازية دورا هاما وبارزا فى الحياة الالمانية التى استطاع صاحبها بطموحه وحبه للمغامرة وقوة ارادته وموهبته الخطابية وقوة بيانه، وقدرته فى استعمال التسهك ان يجذب إليه الشعب الألمانى بشكل يفوق الوصف، ويرسخ فى ذهنه أن جيشه هو اساس تقدم الحضارة البشرية وان الجرمان هم سادة الجنس البشرى الذى قدر لهم من الأزل ان يؤلفوا الطبقة الحاكمة فى العالم، وانه يجب نقاء الدم الأرى لأن الأمة الالمانية لا تكون قوية الا إذ عرفت كيف تحافظ على نقاء عرقها، كما أنه لايمكنها سيادة الجنس البشرى إلا إذا كانت ارادتها فى يد زعيم أوجد قوى تساعد نخبه من أقدر العقول وأبرزها فى المانيا حتى يتمكن الجرمان من سيادة الجنس البشرى، وانشاء المانيا الكبرى التى تضم كل الالمان، وأنه فى سبيل تحقيق ذلك يجوز لالمانيا الا تتمسك بمبادئ القانون الدولى باحترام المعاهدات او غير ذلك.

ولما كان الشعب الالمانى يرغب فى إزاله العار الذى لحق به من معاهدة فرساي ويأمل فى أن يعاد إلى المانيا استقلالها وسيادتها الفعلية وأن تسترد الأراضى التى فقدتها فى عام ١٩١٩ فقد رحب بوصول هتلر إلى الحكم، واتجهت الانظار إليه وإلى حزبه الذى يتلخص أهدافه فى بعث الأمة الألمانية وحياء مجدها الحربى.

وبعد وفاة الرئيس هندنبرج فى أغسطس ١٩٣٤ أصبح هتلر هو الرجل الأول فى ألمانيا حيث جمع بين رئاسة الدولة، ورئاسة الحكومة. ووافقت البلاد على ذلك فى استفتاء علم بأغلبية كبيرة. ومن هنا بدأ هتلر فى تكوين الرايخ الثالث.^(١)

ويعد الرايخ الثالث وزعيمه هتلر صورة من صور الحكم المطلق المتطرف، فهتلر كان الزعيم الأوحده، وحزبه هو الحزب الوحيد، فما انتصف عام ١٩٣٣ حتى كانت جميع الأحزاب غير النازية قد حلت. وأصبحت وظيفة الريخستاج هى الاجتماع للموافقة على أعمال الزعيم.

وكان على الألمانى ان يختار بين أن يكون نازيا أو أن يصبح خاننا، وحتى يهرب هتلر خصومه قام بتشكيل منظمات الكفاح المكونة من الحرس الأسود، وذوى القمصان الحديدية، كما قام باضطهاد اليهود، والديمقراطيين الاشتراكيين، والشيوعيين، وأخذت طوائف كبيرة منهم إلى معتقلات خاصة لاقوا فيها من العذاب أقسام كما اغتيل الكثيرين منهم.

هذا عن النواحي الداخلية. أما عن النواحي الخارجية فقد انتقد هتلر فرنسا ووصفها بأنها العدو الأول لألمانيا الذى يجب سحقه، وطالب بضم الاقليات الألمانية إلى الرايخ الثالث، ونظر إلى شرق أوروبا على أنه مجال واسع لاطماع بلاده، يضاف إلى ذلك أنه قام بتسليح ألمانيا سرا، كما بدأ فى انشاء سلاح جوى لبلاده، مما كان تحديا واضحا لشروط معاهدة فرساي.

ولكى يمتلك هتلر حرية الحركة بشكل واسع قام بإلغاء معاهدة فرساي التى عدتها المسئولة عن كل المصائب التى لحقت بألمانيا فكسر بذلك نظام نزع السلاح وأدخل نظام التجنيد الإجبارى فى ألمانيا بهدف إعادة قوة ألمانيا العسكرية وتوطيد سيادتها، وحاول ضم الاقاليم الأوربية الناطقة بالألمانية إلى الرايخ الثالث، ولما كانت عصبة الأمم هى العقبة أمام هتلر فى تحقيق هذه الأهداف فقد انسحب منها مما أدى إلى تدهور الموقف، وفيما يلى عرض لهذه المراحل بالتفصيل.

^(١) من أقوال هتلر الماثورة أن الرايخ الأول هو دولة بسمارك، والرايخ الثانى هو جمهورية فرساي، والرايخ الثالث هو دولتى.

١- كسر نظام نزع السلاح:

من المعروف ان معاهدة فرساي نصت على تجريد المانيا من السلاح، وعندما استطاع هتلر الوقوف إلى قمة السلطة في المانيا طلب من عصبة الأمم الاعتراف بحق المانيا بالمساواة في الحقوق مع الدول الأخرى من حيث التسلح، خاصة وأن المعاهدة حينما فرضت على المانيا نزع سلاحها اعتبرت ذلك مقدمة لنزع السلاح الشامل.

ولما احتدمت المناقشات داخل أروقة العصبة بهذا الخصوص وأعلنت بريطانيا وفرنسا معارضتها لهذا الطلب أعلن هتلر انسحاب بلاده من عصبة الأمم في أكتوبر ١٩٣٣ وتحررها من كافة المواثيق والمعاهدات التي كبلت حرية بلاده وتفوقها.

٢- فرض الخدمة العسكرية:

فرض هتلر نظام التجنيد الاجبارى فى المانيا على الرغم من قيود معاهدة فرساي بخصوص عدم اعادة بناء الجيش الالمانى، كما أعلن انه سينشئ طيرانا عسكريا، ما أزعج الدول الأوربية، وأدى إلى احتجاج بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وبعض الدول الموقعة على المعاهدة.

٣- محاولات هتلر ضم الاقاليم الاوربية الناطقة بالالمانية:

لما كانت منطقة السار قد فصلت عن المانيا بموجب معاهدة فرساي ووضعت تحت إدارة عصبة الأمم حتى يتم عمل استفتاء بين سكانها، فقد طالب هتلر باعادتها دون استفتاء ثم قبل الاستفتاء بعد ذلك لاعتقاده بضمان نتيجته، ونتيجة لذلك عادت منطقة السار إلى المانيا بعد أن قبل أهل هذا الأقليم الانضمام إلى المانيا فى استفتاء حر كانت نتيجته ٩٠%.

يضاف إلى ذلك قيام هتلر بتسليح منطقة "رينانيا" المنزوعة السلاح وجعلها منطقة عسكرية، مما اثار ثائرة فرنسا، وجعلها تطالب بريطانيا بالعمل الجماعى ضد هتلر، وإلى جانب ذلك حاول هتلر ضم الممر البولندى، واتفق مع روسيا على اقتسام بولندا.

كل هذه المؤشرات كانت بمثابة النذير بقيام أزمة دولية قد تقلب موازين الأمور فى العالم، وهذا ما تحقق فعلا بنشوب الحرب العالمية الثانية.

ومما سبق يتضح أن ظهور البولشفية والفاشية والنازية قد غير الكثير من أفكار النظم التي كانت سائدة في العالم، وعند مقارنة هذه النظم الثلاثة السابقة ببعضها يتضح مدى التشابه والاختلاف بينهما فمع أنها تؤكد على حقوق الجماعة القومية تجاه حقوق الفرد، وتغالى في سلطة الدولة، وتقوم على نظام الحزب الواحد، فإنها تختلف في وجهات النظر الاجتماعية والاقتصادية، فالشيوعية لم تميز جنس على آخر بعكس النازية التي ترى أن العنصر الجرماني هو أعظم الأجناس.



موسوليني

هتلر